

الهام فتيات المستقبل في زمار، العراق

كانون الأول/ديسمبر 2023

عادة ما تكون النساء في زمار محصوراتٍ في الأسرة، محرومات من فرص الاجتماع والحديث عن التغييرات التي يرغبن برؤيتها. بعد أن سئمت راجيا، وهي عضو في فريق سلام النساء WPT في مخيم دوميز، عازمت علي أن لا تلزم الصمت بعد الآن. جاء ذلك بعد عودة ابنة راجيا البالغة من العمر 7 سنوات من المدرسة باكيةً مذهولة بعد أن تعرضت هي وصديقتها للضرب على يد المعلم لأنهما تقاسمتا قلمًا. في تلك اللحظة أدركت راجيا أنها لم تعد قادرة على كبت صوتها وأن عليها التصرف حالاً.

قررت راجيا أن تذهب إلى المدرسة وتقدم شكوى ضد هذا المعلم. لكنها أرادت، قبل المضي بالأمر، إقناع والدة صديقة ابنتها بالحضور معها، حيث تعرضت ابنتها للضرب أيضاً. في البداية، كانت الأم الأخرى مترددة وخائفة، كانت مترددة في الانضمام والخروج عن الأعراف المجتمعية المعتادة التي تحرم المرأة من الحديث في مكان عام. لكن راجيا أصرت دون توقف، وحثتها لتقف متحدثين معاً لضمان ألا يضع المعلم يده على بناتهم مرة أخرى.

وبعد أن نجحت في إقناعها، ذهبنا إلى المدرسة سوياً، وتحدثت راجيا إلى مدير المدرسة، الذي اعتذر نيابة عن المعلم ووعده بأن ذلك لن يحدث ثانيةً.

“ في طريقي للخروج من المدرسة، اجتمع جميع أصدقاء ابنتي حولي وظلوا يسألونني كيف يُسمح لك بالتواجد في المدرسة ولماذا أنت هنا؟ عندما أخبرتهم أن السبب هو تقديم شكوى والتحدث إلى المدير بشأن ذلك المعلم الذي يضربهم. دُهِشت الفتيات وصدمن. بالنسبة لهم، ليست المرأة من تذهب وتقدم الشكاوى؛ ليس من المفترض أن تتحدث النساء مع مديري المدارس، وبالتأكيد ليس لدى النساء القدرة على الوقوف أمام المعلم الذكر. - راجيا، عضو فريق سلام النساء WPT في مخيم دوميز

“ كنت سعيدةً لأنني حصلت على الفرصة لتغيير الطريقة التي ينظر بها هؤلاء الفتيات الصغيرات إلى النساء وإخبارهن أن النساء يمكن أن يكن قويات وواثقات، وأن النساء لسن عاجزات وآمل عندما يكبرن، أن يصبحن أكثر شجاعةً وثقةً مني. - راجيا، عضو فريق سلام النساء WPT في مخيم دوميز

ومع ذلك، لسوء الحظ، في اليوم التالي، وجدت راجيا أن ابنتها وابنها كذلك قد تعرّضا للضرب المبرّح على يد نفس المعلم. هذه المرة، كانت ابنتها علامات الضرب ظاهرة على وجه ابنتها وجسدها. أخبرت البنت راجيا أن المعلم ضربها لأنها اشتكت لوالدتها وأن عليها أن لا تشتكي لأهلها عمّا يفعله المعلم أبداً. كان الأطفال يعتقدون أن المعلم استهدف الابن للتأكيد على هذه الرسالة.

وباحتدام غضبها لضرب المعلم لطفليها، كانت راجيا مصرّة على ألا تستسلم وأنها ستتخذ نهجاً مختلفاً. قررت راجيا هذه المرة طلب الدعم والمساعدة من الجيش في معسكر دوميز - برغم وجود مشاكل معهم سابقاً مما دفعها لتجنّبهم.

لكن بعد حضورها لمؤتمر قوة السلام اللاعنفيّة (NP) للأمن المجتمعي (CSF) مع الجيش والجهات الأمنية، أدركت أنهم لا يعارضون المجتمع في دوميز. على العكس، أدركت رغبتهم الحقيقيّة في مساعدة ودعم المجتمع، والبحث الدائم عن حلول لتجنّب نزوحهم وتشردهم في حال الحاجة لإخلاء مخيم دوميز. هذا التحوّل في الصّورة زاد من ثقة راجيا في التعامل معهم.

غيّر مؤتمر الأمن المجتمعي نظرتي تجاه الجيش والجهات الأمنيّة. ولذا كنت مصمّمة وواثقة من أنهم سيساعدوني إن طلبت، وقد فعلوا. - راجيا، عضو فريق سلام النساء WPT في مخيم دوميز

ذهبت راجيا إلى الجيش وأخذت ابنتها معها لتريها أن النساء قادرات على الدفاع عن أنفسهن، وكسر الأعراف والتقاليد.

أصررتُ على أخذ ابنتي معي لأنني أردتها أن تتشجّع وتخبّر الفريق قصتها بنفسها. أدريها أن تكون واثقة وأن تتحرر من الخوف وأنها قادرة في كل موقف وأن لا تخاف من أحد. - راجيا، عضو فريق سلام النساء WPT في مخيم دوميز

ومن خلال تطبيق المهارات والثقة التي اكتسبتها في تدريبات NP وكعضو فريق WPT، طلبت الدعم من الفريق في هذه القضية، والذي كان سعيداً بالمساعدة. فاتصل بالمدير الذي اتصل بدوره براجيا وعقد اجتماعاً معها ومع المعلم حيث اعتذر الأخير لراجيا وابنتها. ووعدهما بأنه سيتوقف عن ضرب الأطفال.

مثل هذه القصة تدل على تأثير دائم. وبدون دعم NP، كانت راجيا خائفة جداً من التحدث خوفاً من تعرضها للعار والحكم عليها من قبل مجتمعها.

ومع ذلك، باعتبارها عضوًا نشطًا في WPT وحضورها المستمر في تدريبات UCP الخاصة بـ NP، شعرت بالتشجيع والأمان لاستخدام صوتها وأن تكون على طبيعتها، مدركة أنها ستتعرض للهجوم بسبب دفاعها عن نفسها ومجتمعها.

“لن أكذب وأقول إنني كنت امرأة خجولة ضعيفة طوال حياتي لأنني لم أكن كذلك، لكن في أعماقي كنت أشعر دائمًا أن هذا ليس من حقي وأني كنت مختلفة فقط. ومع ذلك، ساعدتني قووات السلام اللاعنفية NP على إدراك أن هذا يجب أن يكون الوضع الطبيعي، وبسبب الجلسات التي حضرتها مع NP، تم تشجيعي على أن أكون على طبيعتي، امرأة تريد الدفاع عن نفسها وعليها أن لا تخاف المجتمع. فمثلًا، عندما حضرت منتدى الأمن المجتمعي الذي نظمته قوة السلم اللاعنفية، في البداية، لم أستطع أن أصدق أنني كنت في اجتماع مع رجال من مجتمعنا وأنا يجب أن نتحدث عن مشاكلنا وهمومنا أمام كل هؤلاء الجهات الأمنية والشرطة وعمدة زمار. ومع ذلك، تحدثنا أنا والنساء الأخريات. ولم نهاب وجود الرجال في الغرفة. لقد شعرنا أن لدينا الحق في النيابة عن أنفسنا مثلهم تمامًا، وأنا ممتنة للأبد لأنني حصلت على هذه الفرصة لأكون جزءًا من فرق NP. - راجيا، عضو فريق سلام النساء WPT في مخيم دوميز

قصة راجيا هي مجرد مثال واحد على كيفية قيام NP بدعم المجتمع لرفض جميع أشكال العنف، وتمكين المرأة من تولي أدوار قيادية والدفاع عن نفسها، مع بناء الثقة وسد الفجوة بين الجهات الأمنية والمجتمع. لقد انتشرت أفعالها لإلهام جيل أصغر من الفتيات حيث تتمتع النساء بصوت قوي يمكنهن استخدامه لإلهام التغيير الإيجابي. هذه الثقة المتزايدة والقدرة على الدفاع عن الذات لنساء زمار لا تقلل من حوادث العنف فحسب، بل تساهم أيضًا في تحقيق السلام والأمن الشاملين على المدى الطويل.